دور التفاعل الاجتماعي في بناء الشخصية الاجتماعية

دراسة نظرية توضح اهمية التفاعل الاجتماعي في الحفاظ عاى بناء التنظيمات الاجتماعية والمساهمة في استمراريتها

د: ريم نواري: جامعة الجزائر –2–

ملخص:

لا شك أن نمط الثقافة انما يكون له رد فعله العميق في تركيب سمات الشخصية، و قد يطرأ التغير على مستوى الشخصية خلال احتكاك الانسان بالآخرين و أثناء تكيفه مع الثقافة التي يعيشه فيها.

وقد تضعف الشخصية و تمرض كما يؤكد علم النفس المرضي حين تعاني اضطرابا نتيجة لعدم التكيف الثقافي اثر عملية التفاعل الاجتماعي في سيرورتها و حتميتها و دنياميتها في اتصال الفرد بثقافته او بثقافات أخرى مما يؤدي أحيانا الى احداث خلل في التوازن تحت وطأة أنماط الثقافة مما يكون له صداه في سيكولوجية الانسان وفي شكل البناء الاجتماعي او الجماعة التي ننتمي اليها وهذا ما نحاول ايضاحه في هذه الدراسة النظرية.

الكلماتالمفتاحية: التفاعل الاجتماعي, الجماعة الاجتماعية، العلاقات الاجتماعية، التفاعلية الرمزية.

Résumé :

Il ne fait aucun doute que le style de culture a une profonde réactiona la composition des traits de la personnalité et le niveau la personnalité peut changer lors du contact de la personne avec les autres et lors de son adaptation a la culture dans laquelle elle vit.la personnalité peut s'affaiblir et tomber malade comme le confirme la psychopathologie lorsque vous souffrez des troubles dus au manque d'adaptation culturelle en raison du processus d'interaction sociales de soninévitabilité et son dynamisme dans le contact de l'individu avec sa culture ou avec d'autres cultures ; ce qui conduit parfois à un déséquilibre sous le poids des modèles culturels qui peut résonner en psychologie humaine et sous forme de structure sociale ou

du groupe sociale auquel nous appartenons et c'est ce que nous essayons d'expliquer dans cette étude théorique .

Mots clés : Groupesocial,relationsociale, interactionsociale,interaction symbolique.

مقدمة:

إذا كانت العلاقة الجدلية بين الثقافة والشخصية أكدت على أن كلا منهما جزء لا يتجزأ من الآخر، وأنهما وجهان لعملة واحدة كل منهما يصب في الآخر فإنه ينتج أيضا عن التأثر و التأثير الذي يحدث بينهما ما يسمى بالتفاعل الاجتماعي وأهميته في دراسة الحياة الاجتماعية وفهمها ونقصد بالتفاعل الاجتماعي التأثير والتأثر أو الأخذ والعطاء بين فردين أو شخصين أو جماعتين ، وقد يكون مباشرا أو وجها لوجه، وقد يحصل بشكل غير مباشر أي عبر وسائل الإعلام . وقد يحصل التفاعل بعد إقامة علاقة اجتماعية وهذا غالبا ما يحدث في مجتمع المدينة المتحضرة بسبب المجهولية الطاغية على مجتمع المدينة ، بينما يحصل التفاعل قبل إقامة علاقة اجتماعية في المجتمع القروي والبدوي بسبب استباق العلاقة القرابية على تفاعل الأفراد [1]

الاطار المفاهيمي للدراسة:

مفهوم التفاعل الاجتماعي:

تكمن القيمة الحقيقية لمفهوم التفاعل الاجتماعي Interaction sociale في كونه مرتبطا باستمرارية الحياة الاجتماعية للجنس البشري.

وما يتردد من مفاهيم و مصطلحات بين عملاء التاريخ والانتربولوجيا وعلم النفس الاجتماعي، وغيرها من العلوم الاجتماعي، تلك المفاهيم المتمثلة في التنظيم الاجتماعي، والمجتمع والسلوك والفعل والاتجاهات والعلاقات والوعي والذاتية الباطنية.....الخ[2] ما هي الا تعبير عن تميز الكائن البشري بالتفاعل الاجتماعي المنظم والمستمر.

فإذا ما تناولنا تحليل التنظيم الاجتماعي للجماعة أو المجتمع المحلي والأنشطة التي يقوم بها أعضاء تلك التنظيمات الاجتماعية بمختلف مستوياتها، والتعاون بين أنشطة اعضائها بتعاون أدوارهم ومراكزهم داخل تلك التنظيمات للكشف لنا على الفور شبكة العلاقات الاجتماعية القائمة بين تلك الأدوار والأوضاع والكيفية التي يتفاعل

[1] معن خليل عمر ،البناء الاجتماعي ، دار الشروق للنشر ، عمان 1992 ، ص (84-83) .

[2] د. السيد علي شتا، التفاعل الاجتماعي و المنظور الخارجي، منشأة المعرفة، الاسكندرية ص 19

بها شاغلي تلك الأدوار والأوضاع مع بعضهم البعض من خلال شبكة العلاقات الاجتماعية تلك والأفعال التي تصدر عنهم وردود أفعالهم المباشرة وغير المباشرة لتلك الأفعال.

ولا تقتصر أهمية التفاعل الاجتماعي بذلك عن مجرد خلق التنظيمات الاجتماعية والحفاظ على استمرارية وجودها إذ أن عملية التفاعل تلك لها دور فعال في تكوين الشخصية وتزويدها بالمثاليات الاجتماعية العامة، والمعايير والقيم والإيمان والحرية والتي تنشرها الشخصية من خلال تفاعلها مع الجماعات الأولية داخل التنظيمات الاجتماعية بمختلف أنماطها و مستوياتها [1] فضلا عماتزودها بها الجماعات الثانوية من آليات الضبط الرسمية المنظمة للتفاعل داخل التنظيمات الاجتماعية والموجهة لسلوك أعضائها وتوقعات كل منهم من الأخر الذي يقاسمه مخزون المعرفة والحس العام.

إذا كانت النظم الاجتماعية هي مجموعة توقعات أو أنماط للسلوك، أو قوالب للفكر أوجدها المجتمع قبل أن يولد الانسان ، ثم نقلها جاهزة أو كما هي ، حيث فرضت على الانسان فرضا. فإن البناء الاجتماعي هو مجموعة النظم و الأنساق التي تتعامد و تتساند من أجل بقاء الصورة الاستاتيكية للمجتمع.

حيث يميز راد كليف براون بين " البناء الصوري للمجتمع والبناء الديناميكي المتغير فالأول هو بناء استاتيكي ثابت نسبيا ولا يتغير إلا قليلا أما البناء الديناميكي فهو البناء الواقعي المحسوس كما يظهر في المجتمع شحمه ولحمه" [2].

إذا أردنا أن نسلط الضوء على التفاعلات الاجتماعية التي تحدث بعد إقامة العلاقات الاجتماعية والتي غالبا تصدر من أشخاص يشغلون مواقع ويمارسون أدوارها إذ أنها تخضع للمؤثرات التالية :

أ –القواعد الاجتماعية:

وهي عبارة عن سلوك سوي منمط يمارسه المعدل العام من الناس اعتاد على ممارسته ، وتعد القواعد الاجتماعية أحد منظمات السلوك الإنساني و إحدى الظواهر الاجتماعية وليست الفردية ، وظيفتها تحديد سلوك الشخص و توجيهه في ارتباطه نحو الآخرين و الجماعات الاجتماعية علاوة على توجيه ارتباط الجماعة الاجتماعية الواحدة مع الأخرى و تنظيم علاقة نفسية بين الأفراد ، وهذا ما حاولنا إيضاحه في الجانب السابق في تحليل العلاقة بين الثقافة والشخصية من حيث أن الشخصية تستمد كل قواعدها الاجتماعية من الثقافة التي تنتمي إليها .

[1] نفس المرجع ص 20.

[2] محمد إسماعيل قباري، أسس البناء الاجتماعي ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ص 39 .

ب–العامل الزمني :

أن الفرد يعيش في عالم من الرموز و من جملة الرموز الزمنية في اللغة هي العبارات التالية : حالا، من بعد ، الآن ، اليوم ، البارحة ، ... الخ .

وينقسم عامل الزمن إلى عدة أقسام رئيسية تبدأ من اللحظة والثانية والدقيقة والساعة واليوم والأسبوع والشهر والسنة هذه الأقسام الزمنية تعمل على تعيين مدة التفاعل ، فالمجموعة الأولى توضح رموزا زمنية مشيرة إلى بدإ التفاعل الاجتماعي ونهايته، إضافة إلى ذلك فإنها تعكس درجة اهتمام المجتمع بعامل الزمن مدى احترامه له و بالتالي تعكس تمدنه لأن الزمن إحدى منظمات سلوك الفرد المتمدن .

أما حالات التفاعل الاجتماعي في ضوء العامل الزمني فهي كما يأتي :

- استمرار عملية التفاعل خلال فترة زمنية محدودة دون تدخل عوامل عارضة .
- تقطيع عملية التفاعل وعدم استمرارها في وقت واحد .
- تفاعل جزئي من خلال فترة زمنية محدودة مع جانب اجتماعي واحد لإحدى الظواهر الاجتماعية بدون تقطع .

ج –العامل المكاني :

ونقصد به الحيز المكاني فإن كل تفاعل اجتماعي يحدث في بقعة جغرافية معلومة الأبعاد . وإذ أن مساحتها و حدودها تؤثران على عامة التفاعل ، فهناك مناطق رموز اجتماعية و حضارية يخضع لها الشخص في عملية تفاعله ، إضافة إلى ذلك فإن المساحة الجغرافية تحدد أوضاع التفاعل (وضعية الجلوس مثلا داخل القطار أو الحافلة بشكل جانبي يعيق عملية تفاعل الأشخاص داخلها) .

مفهوم العلاقات الاجتماعية:

يمكن تعريف العلاقة الاجتماعية على أنها نتيجة التفاعل الاجتماعي (التأثير والتأثر) أو (الأخذ والعطاء) بين شخصين يشغلان موقعين اجتماعيين أو بين فرد ومؤسسة ثقافية ...الخ. وغالبا لا تقام العلاقة من الفراغ بل هناك عوامل تكون السبب في تشكيلها وهي:

- الإشباع الذاتي: ترى أحيانا أشخاصا ينمون ويطورون من علاقاتهم الاجتماعية من خلال اشباع حاجات ذاتية لكلا الطرفين المشتركين في العلاقة.

- الأهداف والمصالح العامة: بغض النظر عما إذا كان المساهمون في عملية التفاعل مهتمين بعضهم ببعض فإن هناك مصالح واهتمامات مشتركة تعمل على تقاربهم وعلى بناء قاعدة أساسية لعلاقتهم القائمة، فهم يهدفون إلى التعاون والتنسيق فيما بينهم لإنجاز وتحقيق أهداف مشتركة.
- الالتزامات والتوقعات: لكل فرد مشترك في عملية التفاعل الاجتماعي التزامات وتوقعات يشعر بها للطرف الآخر ويلتزم بها مما يؤدي ذلك إلى تكوين علاقة فيما بينهما، وتكون هناك علاقة قائمة على الالتزام الموجود فيما بينهما بغض النظر فيما إذا احترم أو لم يحترم كل منهما الآخر، أو أن تكون هناك أهداف مشتركة أو لا تكون نية الأشخاص المشتركين في عملية التفاعل، فهناك علاقة قائمة بين الطبيب والمريض، بين الأستاذ والطالب ... .
- التساند المشترك: الصورة عامة عند المجتمعات المعقدة الهيكل (الرأسمالية والصناعية) تجد تساندا لعناصر الحياة الاجتماعية الواحدة مع الأخرى ونجد هذا التساند بشكل واضح في العلاقات الاقتصادية التي تتضمن سلسلة من العلاقات التي تسبقها معرفة اجتماعية أو قرابية .
- القسرية: هذا النوع من العلاقات موجود في المؤسسات العقابية والقسرية كالسجون والمعتقلات التي تستخدم الأساليب العقابية مع نزلائها من خلال استخدام التهديد أو الإيذاء النفسي والجسدي.

هذه هي إذا أهم الدوافع الكامنة للعلاقات الاجتماعية بين الأشخاص داخل الكيانات الهيكلية، و التي ينتج عنها ما نسميه بالجماعات الاجتماعيةبكل أنواعها و خصائصها.

مفهوم الجماعة الاجتماعية:

يعتبر موضوع الجماعة من أهم الموضوعات التي تنال الاهتمام الشديد في مختلف العلوم الإنسانية، و يمكن تحديد أهم الأسباب التي تدعو إلى الاهتمام بدراسة الجماعة الاجتماعية في الآتي:

– القرارات التي تتخذها تلك الجماعات لها تأثير حاسم وخطير على المجتمعات.

– إن ديناميات هذه الجماعات تؤثر على أسلوب وطريقة أعضائها في تسيير حياتهم و حياة مجتمعهم و لاسيما إذا كان هؤلاء الأعضاء يمثلون مراكز قيادية في تلك المجتمعات[1].

[1] د. ضياء الدين إبراهيم نجم، الجماعات الاجتماعية، المكتبة الجامعية، الإسكندرية 2000، ص20.

- إن الجماعات التي تحيط بالفرد في حياته اليومية لا تقتصر كونها للحصول على الاحترام والتقدير والحب بل يمتد أيضا لتكون مصدرا للضغوط والصراعات والاحباطات، ومن ثم فإن هذه الجماعات تمثل مضمونا صالحا يمكن إخضاعه للملاحظة وإجراء التجارب للوصول إلى قوانين وحقائق عامة بشأن العمليات النفسية من أجل علاج ما يضر بأعضائها[1].
- الاهتمام بالجماعات وإجراء الدراسات والبحوث عليها يساعد على فهمها في أوضاعها الطبيعية والحقيقية والتوصل إلى نظريات امبيريقية تقود إلى المزيد من التقدم في مجالات العلوم الإنسانية.
- العديد من علماء الاجتماع والنفس والتربية ينظرون إلى الجماعة باعتبارها نسقا مصغرا يمثل المجتمع العام ويقدم صورة مصغرة دقيقة للعمليات المجتمعية، كتقسيم العمل والدستور والأعراف والأيديولوجية، ومن خلال دراسة الجماعة (النسق المصغر) يمكن الوصول بها إلى نموذج يمكن تطبيقه على المجتمع الأكبر.

وأهم الخصائص التي تميز الجماعات في طريقة العمل مع الجماعات أنها جماعة منظمة تضم مجموعة من الأعضاء الذين تجمعهم احتياجات واحدة، وصفات مشتركة ويسعون إلى تحقيق أهداف محددة وذلك بمساعدة ومساندة أفراد الجماعة لبعضهم البعض من خلال جميع عمليات التفاعل، التبادل، والتضامن وحتى عملية التناقض فيما بينهم.

ومن خصائص الجماعة صغر حجمها وذلك حتى يتمكن أعضاء الجماعة من معرفة بعضهم البعض معرفة قوية تمكنهم من الاسهام في الحياة حياتهم الاجتماعية اسهاما إيجابيا بصورة فعالة.

التماسك: إذ يجب أن تكون الجماعة على درجة من التماسك ولها هدف واضح يربط أعضائها بعضهم بالبعض الآخر وأن يكون هذا الهدف ملائما لاستعدادات الأعضاء وقدراتهم وخبراتهم.

التفاعل:فالأفراد الذين لا يتفاعلون في لقائهم لا يكونون جماعة، ولن يستقيم هذا التفاعل إلا إذا كان النشاط الداخلي للأفراد أكثر من نشاطهم الخارجي.

التنظيم:فالجماعة يجب أن تكون على درجة من التنظيم الذي يحدد مسؤوليات وواجبات كل عضو، كما يحدد كيفية اتخاذ القرارات داخل الجماعة، فعند تكوين الجماعات فإن الأعضاء تكون لديهم الرغبة في معرفة بعضهم

[1] نفس المرجع ص20.

البعض والسعي لتحمل مسؤولية وإجراءات العمل كما أنهم يسعون إلى تطوير علاقاتهم الاجتماعية وتنظيم بناء الجماعة، ويأخذ كل عضو المركز والمكانة في شبكة العلاقات الاجتماعية داخل الجماعة.

الاطار النظري للدراسة:

إن الجماعة تعني تطابق إدراك عدد من الأفراد لها كمصدر لإشباع الحاجات الخاصة لكل منهم. فهنا تتلاقى هذه الحاجات الخاصة، ونتيجة تلاقيها ومن خلال عمليات التأثير الاجتماعي المتبادلة بين أصحابها يتم إيجاد قاسم مشترك بينها يشكل هدف الجماعة يسعى الأعضاء مجتمعين لتحقيقه. لكن هذا لا يكفي لكي تستمر الجماعة ويحقق أعضاؤها هدفها، إذ يتطلب الأمر هيئة أو شكل ويسمى هذا الشكل بناء الجماعة، أو نمط العلاقات المتبادلة بينهم.

ولأن الأفراد يتعاونون في خصالهم وقدراتهم ولأن تفاعلهم معا يختلف سياقه من موقف لآخر، فأن تباينا يحدث في إدراك كل منهم للجماعة كمصدر لإشباع حاجاته، وفي درجة تأثيره في الآخرين وتأثره بهم ومن ثم يؤثر هذا التباين في نمط العلاقات المتبادلة. أي في بناء الجماعة و الذي يتم فهمه من خلال إدراك أبعاد هذا البناء وهي التدرج الهرمي:

- التعاون في القدرة على التأثير.
- التعاون في التجاذب.
- التعاون في القدرة على إصدار المعلومات أو تلقيها.
- التعاون في الالتزام بمعايير الجماعة.

أما التدرج الهرمي:

فيعني أنه لا يكفي لتكوين جماعة ما تفاوت أعضاؤها في قدرتهم على التأثير المتبادل وإنما تشترط لذلك وجود هدف يلتف أعضاؤها حوله ووجود قائد ينظه جهودهم ويوجهها نحو تحقيق هذا الهدف[1].

[1] عبد المنعم شحاته، أنا والآخر (سيكولوجية العلاقات المتبادلة)، ايتراك للنشر والتوزيع، القاهرة،2001، ص74.

ونقصد بالقوة الاجتماعية أو تفاوت الأفراد في القدرة على التأثير فيما بينهم، بما في ذلك قدرة أي منهم على تقديم إثابة للآخر أو الحاق العقاب به، أي قدرة أحدهم على تقديم دعم إيجابي للآخر إذا قام بمجاراته ومسايرته، أو العكس أي قدرة أحدهم على الحاق العقاب بفرد آخر سواء كان العقاب ضمنيا مثل التجاهل أو صريحا مثل توجيه النقد أو اللوم أو التجريح أو حتى الطرد من الجماعة.

أما قوة الاتصال أي تفاوت الأفراد إما في إصدار المعلومات أو في تلقيها ويعد هذا التفاوت مظهرا للتفاعل المتبادل بين مجموعة من الأفراد وخطوتهم الأولية لبناء الجماعة واستمرارها. وتمثل القدرة على إرسال المعلومات أو تلقيها محور الاتصال (التخاطب) سواء كان مباشرا بالمواجهة أو غير مباشر أي عن بعد وعبر وسائط التقنية الحديثة. وفي كلتا الحالتين: يعتمد مصدر المعلومات على خصال شخصيته وخصائص مضمون مخاطبته كمدعمات لاستمالة المتلقي نحو أداء أفعال يريد القام بها. يشمل موقف الاتصال عدة عناصر تتفاعل فيما بينها وتتبادل التأثير، بمعنى أن أي تغيير بأحدها يؤدي إلى تغيير في الموقف ككل وهي: -المصدر -الرسالة أو مضمون الخطاب -الوسيلة التي من خلالها يتم نقل الرسالة -المتلقي —الهدف منالتفاعل أو التخاطب أو الاتصال أي الأثر المتوقع منه سواء كان تدعيما للاتجاهات والاهتمامات أو تغييرا في أحد مكونات الاتجاه

يوضح الشكل الآتيعناصر موقف الاتصال[1]:

[1] عبد المنعم شحاته، مرجع مذكور، ص79.

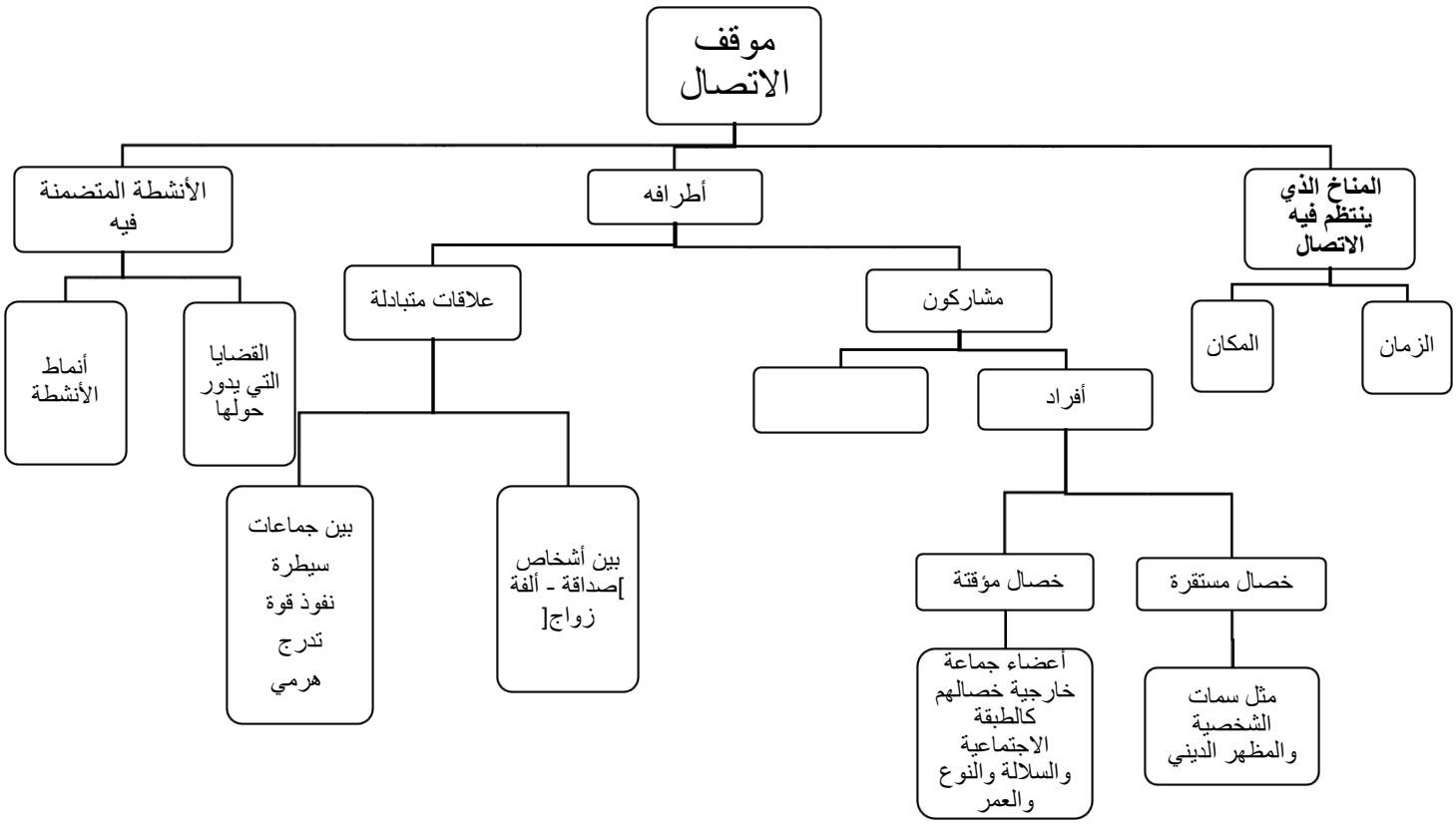

وتلعب عوامل عديدة دورا في تشكيل عملية تبادل المعلومات داخل الجماعة، من هذه العوامل:

- أهداف الجماعة.
- موقع الجماعة بعضهم من بعض أو الدور المنوط بكل منهم.
- القواعد المنطقية التي تحكم تبادل الحقائق.
- التدرج الهرمي داخل الجماعة.
- مدى الائتلاف بين الأفراد.
- المشاعر المتبادلة بين أفراد الجماعة.

فإن الأهمية التي يحظى بها الاتصال لا تقتصر على الفرد بل أنه أكثر أهمية للمجتمع. إن الاتصال أساس قيام المجتمع فقد عرف الاتصال طريقه إلى كل البيئات واحتل مكانة في كل العصور إذ أنه لم يكن وليد عصر من العصور

أو حضارة من الحضارات، فلا يوجد مجتمع من المجتمعات مهما تفاوتت درجة تقدمه أو تخلفه، كما لا يوجد زمن من الأزمنة قديما أو وسيطا أو حديثا إلا واحتل الاتصال مكانا فيه لأن الإنسان بطبيعته لا يستطيع الاكتفاء بأخباره الشخصية أو أخبار المجتمع المحدد الذي يعيش فيه فالشخص يدخل في علاقات اتصالية مع غيره لأنه يريد أن ينتسب إلى البيئة وبالأخص البيئة الإنسانية من حوله، وهذا ليس فقط بل "أن المجتمع عبارة عن شبكة معقدة من العلاقات التي يحافظ عليها الاتصال" [1].

وفي هذا الصدد لابد ان **نوضحاهميةالتفاعليةالرمزيةلهذهالدراسة** اذإن التفاعلية على الرغم من أخذها للفرد كقاعدة في مقاربة الوقائع والظواهر الإجتماعية، إلا أنها لا تأخذه كمبدإ في التحليل، بل أنها على مستوى التحليل تأخذ الفرد في فعله المتبادل مع الآخرين..إن التفاعل هو حقل للتاثير المتبادل لأن الإجتماعي لا يوجد كمعطى سابق عن الأفراد/ الفاعلين، بل إن الإجتماعي هو شكل مستمر أو انه نظام متفاوض عليه.

إن التفاعلات بين الأفراد ليست عمليات ميكانيكية يتم ربطها بالأدوار الإجتماعية للأفراد أو وضعياتهم، إن الحديث عن التفاعل بين الطبيب والمريض ، المحامي و الزبون، هي علاقة تحتمل فقط على الإطار الشكلي للتفاعل، ولاتعكس قط عملية التفاعل و مضمونها ومعناها أو كيف يلعب الفاعل دوره، و ما نتائج فعله، لأن التفاعل بين شخصين أو اكثر لا يمكن توقع نتائجه، بل إن أولئك الأشخاص انفسهم لا يعرفون مسبقا مراحل علاقة تفاعلهم، وبالتالي فهي تتأسس على إطار من الإنتظارات التبادلة.

كما ان الفاعل لا يشمل الفاعلين الحاضرين في لحظة الفعل فقط، بل عناصر أخرى غير مرئية ساعدت أو ساهمت في صياغة علاقة أحد الفاعلين أو كلهم مع العالم، إن الشخص الفاعل ينبني اجتماعيا في سلوكنا اليومي و أفعالنا، يتمثل الآخرين بشكل ملموس مباشر أو ضمنيا من خلال حضورهم المعنوي.

التفاعل الإجتماعي هو عملية تشكل مستمر و ليست استجابة لمعايير وقواعد يحكمهاالفاعلون و تملي عليهم سلوكهم و مواقفهم، إن الانا في إصلاح و تاويل و و إعادة بناء مستمرة فيتحدث ستروس عن عملية التراكم و نمو الأنا من خلال التفاعل ، و التفاعل لا يتم من خلال اللغة و الخطاب فقط، بل يتعلق كذلك برمزية الحركات الجسدية المرافقة للكلام أو بدونه.

[1] د. جمال الدين وآخرون، مدخل إلى الاتصال الجماهيري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2006، ص21.